



لم تصدر عن قمة سوتشي التي عقدت يوم 14 فبراير/ شباط الجاري بين رؤساء روسيا وتركيا وإيران، بوتين وأردوغان وروحاني، نتيجة محددة بشأن سورية؛ حيث اكتفى البيان الختامي، وكذلك تصريحات الرؤساء في مؤتمرهم الصحفي، بالعموميات والوعود المفتوحة، ما دفع المعلقين السياسيين والإعلاميين إلى تبني استنتاجاتٍ متعارضة إلى حد التناقض، قال بعضهم بفشل القمة، وقال آخرون بنجاحها مع تأجيل الإعلان عن الاتفاقيات لاعتباراتٍ آنية.

واقع الحال أن القمة فشلت في الاتفاق على موقفٍ موحد، أو على حل أيٍّ من البنود التي أعلن قبيل انعقادها أنها ستكون على جدول أعمالها، بنود: إدلب، المنطقة الأمنية التي ترغب تركيا إقامتها بطول 500 كلم وعرض يتراوح بين 32 و 60 كلم؛ على طول الحدود السورية التركية، من جرابلس إلى فيش خابور، واللجنة الدستورية، إذا استثنينا التوافق على ربط الموافقة على تشكيلة اللجنة المقترحة بموافقة الأمم المتحدة عليها، حيث غدت مهمة روسيا إقناع الأمم المتحدة بهذه التشكيلة، وأية ذلك تصريحات الرؤساء الثلاثة في مؤتمرهم الصحفي، حيث كان التباين في مواقفهم من هذه البنود واضحاً وصريحاً؛ مع ملاحظة سيادة نبرة هادئةٍ وموافقات فضفاضة، جاءت لافتاً بعد التصريحات الروسية القوية والحادية بشأن عدم السماح باستمرار الوضع في إدلب، وتكرار الحديث عن عملية عسكرية ضد الإرهابيين فيها؛ وغضّ النظر عن خرق قوات النظام وقف إطلاق النار، وقصفها مدنًا وبلدات في المحافظة، وأخرى في ريفي حماة وحلب طوال الأسبوع الذي سبق القمة. وهذا عكس رغبتهم في المحافظة على علاقات العمل القائمة بين دولهم، من جهة، وتمرير الوقت لانتظاراً لاتضاح صورة الموقف في ملفاتٍ ذات صلة، الانسحاب الأميركي من منطقة شرق الفرات والتطورات على صعيد العلاقات الأميركيّة الإيرانية، من جهة أخرى.

ارتبطت التباينات بعوامل ثلاثة، أولها الانسحاب الأميركي وما سيحصل على هذا الصعيد، إن لجهة شروط الانسحاب أو

توقيته والمدة الزمنية التي سيستغرقها، يمكن اعتباره العامل الأكثـر تأثيراً على فشـل القـمة، لأنـعـاكـسه القـوى والـمـباـشرـ علىـ أـطـرافـهاـ التـلـاثـةـ، وـحـسـابـاتـهـ وـمـصـالـحـهـ الـقـرـيبـةـ وـالـبـعـيـدـةـ، فـمـعـرـفـةـ شـرـوـطـ الـانـسـحـابـ وـجـوـلـهـ الـزـمـنـيـ، وـطـبـيـعـةـ الـتـفـاهـمـاتـ يـشـأـنـ الـوـضـعـ بـعـدـ الـانـسـحـابـ بـيـنـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ وـتـرـكـيـاـ، مـنـ جـهـةـ، وـبـيـنـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ وـرـوـسـيـاـ، مـنـ جـهـةـ ثـانـيـةـ، سـيـعـزـ مـوـقـفـ طـرـفـ، وـيـضـعـفـ مـوـقـفـ آـخـرـ، وـيـدـفـعـ إـلـىـ حـسـابـاتـ وـخـيـارـاتـ مـخـتـلـفـةـ مـنـ مـعـظـمـ بـنـوـدـ الـمـلـفـ السـوـرـيـ. وـهـذـاـ بـرـزـ لـحـظـةـ إـلـانـ، الرـئـيـسـ الـأـمـيـرـيـ، دـوـنـالـدـ تـرـامـبـ، يـوـمـ 19ـ دـيـسـمـبـرـ/ـكـانـونـ الـأـوـلـ الـمـاضـيـ، نـيـتـهـ سـحـبـ الـقـوـاتـ الـأـمـيـرـيـةـ مـنـ سـوـرـيـةـ، وـتـكـلـيفـ تـرـكـيـاـ بـمـلـفـ شـرـقـ الـفـرـاتـ وـالـقـضـاءـ عـلـىـ بـقـاـيـاـ تـنـظـيمـ (ـدـاعـشـ)ـ؛ـ وـتـمـثـيلـ الـمـوـقـفـ الـأـمـيـرـيـ وـالـغـرـبـيـ هـنـاكـ؛ـ حـيـثـ تـعـزـزـ مـوـقـفـ تـرـكـيـاـ بـتـوـسـعـ دـوـرـهـاـ وـنـفـوذـهـاـ فـيـ سـوـرـيـةـ بـرـعـاءـيـةـ أـمـيـرـيـكـيـةـ؛ـ عـكـسـتـهـ نـبـرـةـ الـتـصـرـيـحـاتـ الـتـرـكـيـةـ بـشـأـنـ الـقـضـاءـ عـلـىـ "ـالـإـرـهـابـيـيـنـ"ـ، قـوـاتـ سـوـرـيـةـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ (ـقـسـدـ)ـ وـ(ـدـاعـشـ)ـ (ـيـمـكـنـ التـذـكـيرـ بـتـصـرـيـحـ وـزـيـرـ الـدـفـاعـ الـتـرـكـيـ، خـلـوصـيـ أـكـارـ، عـنـ قـوـاتـ "ـقـسـدـ"ـ)ـ، سـنـدـفـنـهـمـ فـيـ الـأـنـفـاقـ الـتـيـ حـفـرـوـهـاـ)، وـإـقـامـةـ مـنـطـقـةـ أـمـنـيـةـ تـحـتـ الـسـيـطـرـةـ الـتـرـكـيـةـ الـخـالـصـةـ. ثـمـ تـرـاجـعـتـ نـبـرـةـ الـتـهـدـيدـ وـالـوـعـيـدـ الـتـرـكـيـةـ، بـعـدـ إـلـانـ عـنـ الـشـرـوـطـ الـأـمـيـرـيـةـ لـعـمـلـيـةـ عـسـكـرـيـةـ تـرـكـيـةـ شـرـقـ الـفـرـاتـ:ـ تـنـسـيقـ الـعـمـلـيـةـ مـعـ وـاـشـنـطـنـ، حـمـاـيـةـ حـلـفـائـهـاـ مـنـ الـكـرـدـ، فـيـ حـينـ حـمـلـ الـقـرـارـ رـوـسـيـاـ أـعـبـاءـ جـدـيـدـةـ، عـبـءـ الـمـلـفـ السـوـرـيـ؛ـ إـدـارـتـهـ وـمـواـزـنـةـ بـيـنـ مـصـالـحـ حـلـفـائـهـاـ وـنـفـوذـهـمـ وـأـدـوارـهـ الـرـاهـنـةـ وـالـمـسـتـقـبـلـةـ، بـإـضـافـةـ إـلـىـ مـرـاعـاـتـ مـصـالـحـ خـصـومـهـاـ، ذـلـكـ أـنـ الـانـسـحـابـ الـأـمـيـرـيـ، الـخـصـمـ الـمـشـتـرـكـ لـلـدـوـلـ الـثـلـاثـ، سـيـزـيلـ الـلـحـمـ بـيـنـهـاـ، وـيـدـفـعـهـاـ إـلـىـ إـعـادـةـ النـظـرـ فـيـ الـأـلـوـيـاتـ، بـحـيـثـ تـحـافـظـ (ـرـوـسـيـاـ)ـ عـلـىـ عـلـاقـاتـ مـتـواـزـنـةـ مـعـ الـجـمـيـعـ، وـعـلـىـ الـعـمـلـ الـمـشـتـرـكـ فـيـ إـطـارـ مـسـارـ أـسـتـانـةـ، مـاـ دـفـعـهـاـ إـلـىـ تـفـهـمـهـاـ مـوـقـفـ تـرـكـيـاـ وـعـمـلـيـتـهـاـ عـسـكـرـيـةـ شـرـقـ الـفـرـاتـ، قـبـلـ أـنـ تـعـودـ إـلـىـ مـوـقـفـهـاـ الـتـقـلـيـدـيـ الـقـائـلـ بـضـرـورـةـ سـيـطـرـةـ النـظـامـ عـلـىـ كـلـ الـأـرـاضـيـ السـوـرـيـةـ، وـتـطـرـحـ عـلـىـ تـرـكـيـاـ الـاـكـتـفـاءـ بـتـطـبـيقـ اـتـفـاقـيـةـ أـضـنـةـ الـتـيـ كـانـتـ وـقـعـتـهـاـ مـعـ النـظـامـ عـامـ 1998ـ، فـيـ ضـوءـ مـاـ ظـهـرـ مـنـ تـرـدـدـ الـأـمـيـرـيـ بـشـأـنـ تـكـلـيفـ تـرـكـيـاـ بـالـمـنـطـقـةـ، وـتـمـسـكـ وـاـشـنـطـنـ بـحـمـاـيـةـ حـلـفـائـهـاـ مـنـ الـكـرـدـ؛ـ وـتـوـصـيـفـهـاـ الـمـنـطـقـةـ الـأـمـنـيـةـ مـنـطـقـةـ عـاـزـلـةـ بـيـنـ تـرـكـيـاـ وـهـؤـلـاءـ الـحـلـفـاءـ مـنـ الـكـرـدـ، تـجـلـيـ ذـلـكـ فـيـ دـعـوـتـهـاـ دـوـلـ أـوـرـوبـيـةـ إـلـىـ نـشـرـ قـوـاتـ فـصـلـ بـيـنـ الـطـرـفـيـنـ، وـمـدـ فـتـرـةـ الـانـسـحـابـ مـنـ دـوـنـ إـعـطـاءـ مـدـدـةـ مـحـدـدـةـ وـثـابـتـةـ.

وـشـكـلـ الـقـرـارـ الـأـمـيـرـيـ غـيـرـةـ ضـبـابـ أـمـامـ الرـؤـسـاءـ الـثـلـاثـةـ؛ـ وـصـفـ الرـئـيـسـ الـتـرـكـيـ أـثـرـ إـلـانـ الـأـمـيـرـيـ بـالـانـسـحـابـ بـمـرـحـلـةـ مـنـ الـغـمـوـضـ، وـلـذـكـ مـالـواـ إـلـىـ تـعـلـيقـ الـمـوـاـفـقـ، رـيـثـمـاـ تـتـضـحـ صـورـةـ الـمـوـقـفـ الـأـمـيـرـيـ، وـتـنـفـيـذـهـ قـرـارـ الـانـسـحـابـ، تـحـاشـيـاـ لـحـصـولـ تـطـوـرـاتـ تـنـعـكـسـ سـلـبـاـ عـلـىـ مـصـالـحـ بـلـادـهـمـ. ثـانـيـاـ تـبـاـيـنـ الـمـوـاـفـقـ بـشـأـنـ الـوـضـعـ فـيـ إـدـلـبـ بـيـنـ تـبـنـ رـوـسـيـ وـإـرـانـيـ حـسـماـ عـسـكـرـيـاـ تـرـفـضـهـ تـرـكـيـاـ الـتـيـ تـدـعـوـ إـلـىـ مـقـارـبـةـ سـيـاسـيـةـ طـوـيـلـةـ النـفـسـ، قـائـمـةـ عـلـىـ فـكـرـةـ إـقـنـاعـ "ـهـيـئـةـ تـحرـيرـ الشـامـ"ـ الـتـيـ تـشـكـلـ "ـجـبـهـةـ الـنـصـرـةـ لـأـهـلـ الشـامـ"ـ عـمـودـهـاـ الـفـقـرـيـ بـعـزـلـ الـجـهـاـيـيـنـ الـأـجـانـبـ، وـحـلـ نـفـسـهـاـ، وـالـانـخـرـاطـ فـيـ تـشـكـيلـ عـسـكـرـيـ مـوـحدـ مـعـ بـقـيـةـ فـصـائـلـ الـمـحـافـظـةـ، وـفـصـائـلـ مـنـطـقـيـ درـعـ الـفـرـاتـ وـغـصـنـ الـزـيـتونـ، الـحـدـيـثـ يـدـورـ بـشـأـنـ الـجـيـشـ الـوـطـنـيـ الـذـيـ سـيـتـجـاـوـزـ عـدـ أـفـرـادـ الـثـمـانـيـنـ أـلـفـ، مـاـ اـضـطـرـرـ الرـؤـسـاءـ إـلـىـ تـرـحـيلـ الـبـنـدـ إـلـىـ قـمـتـهـمـ الـتـيـ سـتـعـقـدـ فـيـ تـرـكـيـاـ الـشـهـرـ الـمـقـبـلـ (ـمـارـسـ/ـآـذـارـ)، لـأـنـ إـلـصـارـ عـلـىـ الـحـسـمـ سـيـنـهـيـ عـلـاقـةـ الـعـلـمـ بـيـنـهـمـ، وـتـعـودـ تـرـكـيـاـ إـلـىـ الـحـضـنـ الـأـمـيـرـيـ، وـهـوـ مـاـ لـأـ تـرـيـدـهـ لـأـ رـوـسـيـ وـلـأـ إـرـانـ. تـسـعـيـ الـأـلـوـلـ إـلـىـ دـقـ إـسـفـينـ بـيـنـ تـرـكـيـاـ وـالـتـحـالـفـ الـغـرـبـيـ، وـالـثـانـيـةـ تـرـيـدـهـاـ إـلـىـ جـانـبـهـاـ لـتـعـزـيـزـ فـرـصـهـاـ فـيـ مـواجهـهـ الـعـقـوبـاتـ وـالـضـغـوطـ الـأـمـيـرـكـيـةـ.

الـعـاـمـ الـثـالـثـ فـيـ تـبـاـيـنـ الـمـوـاـفـقـ هوـ دـخـولـ الـمـلـفـ السـوـرـيـ مـرـحـلـةـ ضـرـورـةـ حـسـمـ بـعـضـ بـنـوـهـ، مـثـلـ حـدـودـ مـنـاطـقـ نـفـوذـ الـقـوـىـ الـإـقـلـيمـيـةـ وـالـدـوـلـيـةـ، الـمـوـقـفـ مـنـ الـفـصـائـلـ الـمـتـشـدـدـةـ، مـسـتـقـبـلـ مـسـارـيـ جـنـيفـ وـأـسـتـانـةـ. وـهـذـاـ جـعـلـ الـتـقـدـمـ أـكـثـرـ صـعـوبـةـ فـيـ ضـوءـ تـأـثـيرـ صـيـغـةـ حـسـمـ هـذـهـ الـبـنـوـدـ عـلـىـ بـنـوـدـ أـخـرـيـ جـوـهـرـيـةـ، لـمـ تـحـنـ لـحـظـةـ تـنـاـوـلـهـاـ، مـثـلـ مـسـتـقـبـلـ سـوـرـيـةـ، الـمـصـالـحـةـ الـوـطـنـيـةـ، مـصـيـرـ الـلـاجـئـيـنـ، إـعادـةـ الـإـعـمـارـ، بـقـاءـ الـقـوـاتـ الـأـجـنـبـيـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ السـوـرـيـةـ، وـحـرـصـ كـلـ مـنـ الرـؤـسـاءـ الـثـلـاثـةـ، أـرـدـوـغـانـ وـرـوـحـانـيـ وـبـوـتـيـنـ، عـلـىـ دـعـمـ تـمـكـيـنـ أـيـ مـنـ الرـئـيـسـيـنـ الـأـخـرـيـنـ مـنـ تـحـقـيقـ مـكـاـسـبـ عـلـىـ حـسـابـهـ، أـوـ الـالـتـزـامـ بـمـوـقـفـ قـدـ يـنـعـكـسـ

سلبا على مصالح بلاده عند تناول بقية بنود الملف في مراحل لاحقة.

ويمكن القول إن تناقض الأولويات وتضاربها، وحاجة الدول الثلاث لبعضها بعضا، جعل الرؤساء يختارون ترحيل البنود وتأجيل حسم المواقف من أجل المحافظة على مسار أستانة، على الرغم من هشاشته، لأنه وفر لهم منصة للانخراط في إدارة الملف السوري، ولعب دور إقليمي رئيس، عزّ وزن كل دولة من دولهم ودورها، وقيد إلى حد كبير حركة خصومها.

المصادر:

العربي الجديد